



التاريخ يصارع الأمطار والسيول للبقاء

## السيول تجرف تراث اليمن المعماري

### صنعاء القديمة وشبام وزيد مدن تاريخية تحتاج إلى رأب الصدع



سابقون عصرهم في المعمار

المتردي بالفعل بالنسبة إلى العديد من (السكان الآخرين). ونهبت اليونسكو إلى أن الظروف المناخية تهدد "بقاء التراث الثقافي الفريد لليمن، الذي يعد شهادة على الإبداع البشري" والقدرة على التكيف مع التضاريس الطبيعية والظروف البيئية المتنوعة في البلاد.

ويعد مناشدات الحكومة الشرعية المعترف بها دولياً حشدت اليونسكو الدعم من صندوق التراث للطوارئ لحماية مدن التراث العالمي الثلاث في اليمن -صنعاء القديمة، وشبام حضرية، وزيد- من الانهيار جراء السيول الناتجة عن الأمطار الغزيرة.

جاء ذلك في بيان وزعه مكتب المنظمة، وذكر أن اليونسكو "تعمل على حشد الدعم من صندوق التراث للطوارئ للاستجابة بسرعة وفعالية للأزمات الناتجة عن النزاعات المسلحة والكوارث، وأنها - بالتعاون مع شركائها - تدخلت في حارة القاسية في مدينة صنعاء القديمة ومدينة زيد التاريخية لحماية ما يقارب 30 منزلاً من الانهيار".

أهمية طيلة قرون بفضل جامعتهما الإسلامية. من جهتها، أعربت اليونسكو في بيان عن "أسفها الشديد للخسائر في الأرواح والممتلكات في عدد من المراكز التاريخية في اليمن، بما في ذلك مواقع التراث العالمي في زيد وشبام وصنعاء، وخاصة في الأيام الأخيرة في أعقاب الظروف الجوية القاسية التي اكتسحت البلاد".

**وصل عدد مباني مانهاتن  
الصحراء إلى 470 منزلاً  
بنيت جميعها من مادة  
الطين بارتفاع يتراوح ما  
بين خمسة وثمانية طوابق**

وقالت المنظمة، إن الأضرار الناجمة عن الأمطار تعرض "حياة سكان هذه المراكز التاريخية للخطر، تاركة البعض دون مساوى ملائم، مع تفاقم الوضع في أوقات سابقة".

السكان إلى شكل من أشكال المساعدة والحماية.

وعلى بعد نحو 500 كيلومتر من مدينة شبام - التي يصفها خبراء الآثار بـ"مانهاتن الصحراء"، نسبة إلى مبانيها البرجية الشاهقة المنبثقة من الصخور - من الأحوال الجوية السيئة.

ويصل عدد مبانيها إلى 470 منزلاً، بُنيت جميعها من مادة الطين، بارتفاع يتراوح بين خمسة وثمانية طوابق، ما جعلها توصف بأول ناطحات سحاب طينية في العالم.

وبحسب المعلومات الرسمية، فإن ما يقارب الـ40 منزلاً تضررت أسطحها وأبنيتها وتسربت مياه الأمطار إلى داخلها، وسط مناشدات بالتدخل العاجل من السلطة المحلية والهيئة العامة للمدن التاريخية لترميم المدينة حتى لا تتفاقم المعاناة وتنهيار أقدم مدينة تاريخية في البلاد.

ويحاول العمال رأب التصدعات على عجل؛ يقول مدير عام مديرية شبام عبدالوهاب عبدالله بن علي جابر "بسبب هذه الأمطار والسيول، تعرضت المدينة لشبه كارثة حقيقية لم تشهدها المدينة في أوقات سابقة".

ويضيف أن شبام "كان لها النصيب الأكبر في عمليات المتابعة والحصر لأنها مدينة تاريخية ومدينة ذات معلم إنساني وتاريخي".

وفي محافظة الحديدة غرب اليمن، أدت الأمطار الغزيرة إلى تضرر مباني ومساجد قديمة في مدينة زيد الأثرية ذات الأبنية الطينية والتي تحتضن خامس أقدم مسجد في العالم، وصنّف على قائمة التراث العالمي المعرض للخطر. وتشكل زيد أهمية أثرية وتاريخية كونها عاصمة اليمن في القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، واكتسبت

شعبية من الطين. نرجو من المنظمات المجتمعية أن تجد لنا حلاً".

أما المسؤولية في الهيئة اليمنية للمحافظة على المدن التاريخية دعاء الواسعي فترى أن "حجم الضرر الذي تعرضت له صنعاء هو نتاج الإهمال وعدم الصيانة منذ زمن".

وتضيف أن "صنعاء تسقط وتذوب بكل معنى الكلمة"، مشيرة إلى أن "أسقف منازل صنعاء القديمة تضررت سابقاً بسبب الضربات التي تعرضت لها المدينة" والقصف "تسبب في اختلال أساسات المنازل"، متابعاً "الآن جاءت الأمطار وقضت على ما تبقى".

وبحسب الواسعي، فإنه على الرغم من أن "الميزانية محدودة ونحن في حرب ولدينا مشاكل كثيرة تواجهنا ولكن هذه هويتنا. ومثلما ندافع عن بلدنا، لا بد أن ندافع عن هويتنا التاريخية".

ودعت إلى المزيد من "التنسيق" وإلى "دعم المبادرات الشبابية والمجتمع المدني" من أجل الحفاظ على التراث. وتعتبر الأمم المتحدة أن الوضع في اليمن يشكل أسوأ أزمة إنسانية إذ يحتاج أكثر من

ثمانين في المئة المئمة من القديمة، شاكياً، إن "بيوتنا

لم يعد اليمن سعيداً بعد أن اجتاحتها الحروب والأمراض والفقر وزادت الأمطار الغزيرة والسيول من معاناته، وها هو أيضاً في طريق فقدان هويته المعمارية بعد أن انهارت أبنيته القديمة، تلك التي تمتاز بخصوصية معمارية فريدة ما يتطلب تدخلاً حكومياً وأمياً لإعادة ترميمها.

**صنعاء -** في صنعاء التي "تسقط وتذوب" على حد قول مسؤولي يمنية، تهدد سيول من المياه الموحلة الحي الأثري الماهول منذ أكثر من 2500 سنة والمدرج على لائحة المواقع الأثرية العالمية منذ عام 1986، وكذلك سكانه الذين يعانون من حرب مدمرة مستمرة منذ سنوات.

وصنعاء القديمة التي تشتهر ببيوتها المتعددة الطبقات ومنازل الأجر القديمة، ليست الموقع الوحيد الذي تهدده الأمطار، إذ حذرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) من أن "الظروف المناخية تهدد بقاء التراث الثقافي الفريد لليمن".

ويحاول علي الورد الذي يقم في أحد بيوت صنعاء القديمة إزالة المياه، يقول الرجل اليمني المسن "منذ الفجر نحاول صيانة الأسقف الطين وإزالة المياه منها، لكن كل الذي قمنا به بلا جدوى". ويتابع بأسى "ننام ونحن خائفون، والله نحن بين الحياة والموت".

وفي صنعاء القديمة أيضاً إلى تدمير العديد من المباني والمنشآت والحدت أضراراً بمواقع مدرجة على لائحة التراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، وخاصة في صنعاء القديمة وشبام وزيد.

في صنعاء الخاضعة لسيطرة الحوثيين، أعلنت "وزارة الصحة" في الحكومة غير المعترف بها دولياً، أن 106 منازل ومنشآت خاصة وعمامة تضررت كليا، و156 (أخرى) تضررت جزئياً حتى السابع من أغسطس.

وتضررت بعض المباني في صنعاء القديمة كلياً أو جزئياً؛ يقول محمد الخميسي الذي يقطن في المدينة القديمة، شاكياً، إن "بيوتنا

على التراث اللبناني، رجا نجيم "لا يوجد شيء لا يمكن إصلاحه"، مشيراً إلى أن "ترميم هذه المباني يعتمد على تموليات منظمات دولية وعالمية، ويقام بإدارة خارجية".

وعبر نجيم عن استيائه من موقف السلطة المحلية تجاه التراث في لبنان، فقال "ينقص الإدارة المحلية الحس التراثي، لا ثقة بالدولة أو الحكومة أو بلدية بيروت في هذا السياق".

**اليونسكو تقدر أن 640 من الأبنية التراثية مهددة بالانهيار في بيروت معلنة أنها ستقود التحرك الدولي لإعادة الإعمار**

وأعلنت اليونسكو في بيان أنها حصلت على هذه الأرقام من تقييم قام به سركيس خوري مدير عام الآثار في وزارة الثقافة في لبنان.

وقال خوري "تضرر ما لا يقل عن ثمانية آلاف مبنى" معظمها في أحياء الجميزة ومار ميخايل القديمة، داعياً إلى أعمال "عاجلة" تفادياً لتفاقم الأضرار مع عرض للفنانين اللبنانيين والأجانب. ويات القصر اليوم بروي قصة مدينة منكوبة

حذرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) الخسيس من أن 640 من الأبنية التراثية تضررت جراء الانفجار الذي ضرب بيروت مطلع أغسطس و60 منها معرضة للانهدام، مؤكدة أنها ستقود التحرك الدولي لإعادة إعمار تراث العاصمة اللبنانية.

وأثنى الانفجار على تاريخ عريق حافظت عليه أبنية تراثية بجدرانها المزخرفة ونوافذها الملونة وقناطرها العالية قبل أن تتحول مجرد واجهات تخترقها فجوات ضخمة.

ونالت منطقة الجميزة المواجهة لمرقا بيروت، الحصة الأكبر من الضرر الذي أصاب بيروت نتيجة الانفجار الذي أسفر عن خسائر واسعة في الأرواح وأضرار بالغة في المنازل والمنشآت.

ولعل أكثر ما يميز هذه المنطقة، بيوتها التراثية القديمة، التي شهدت على حروب كثيرة مرت على لبنان، فأتى الانفجار ليلحق أضراراً كبيرة في معظمها.

ويخشى متخصصون من أن تضيع تلك البيوت العتيقة في الزلزال من خلال إهمال ترميمها أو معاملتها معاملة المباني العادية دون "حس تراثي" يراعي تاريخها وخصوصيتها. ويتطلب إصلاح وترميم منازل بيروت التراثية تقنيات خاصة، فحسب عضو التجمع للحفاظ

يمن كان جميلاً

## انفجار بيروت يهدم أبنية شاهدة على تاريخ لبنان

وشهد المتحف معارض كثيرة وبقيت أبوابه مفتوحة خلال غالبية سنوات الحرب الأهلية (1975-1990)، ثم أغلق أبوابه ثمانية سنوات من أجل ترميمه، ليعود ويفتح أبوابه مجدداً في أكتوبر 2015، ويستقبل عوضاً عن الفنانين ومعارضهم، أعراس الراغبين بأن يحتفلوا في قصر يُشكل جزءاً من ذاكرة بيروت.

وتضرر جراء الانفجار والزجاج المتطاير ما بين 20 و30 عملاً فنياً، بينها لوحة نقولاً سرسق تعود إلى الثلاثينات ورسمها الفنان الهولندي الفرنسي كيس فان دونغن.

وقدر مرتضى تكلفة إصلاح المباني الأثرية بـ"مئات الملايين من الدولارات"، منبهاً إلى ضرورة بدء العمل سريعاً قبل حلول فصل الشتاء.

ويعمل فريق في وزارة السياحة حالياً على تقدير الخسائر، على أمل الحصول على مساعدة خارجية خصوصاً من فرنسا.

لوحات المعارض. ويقول أبوخال (68 عاماً) "لأنه مبنى مغلق، حصل انهيار في كل زاوية. لم أتوقع أن أرى دماراً بهذا الحجم"، متوقفاً أن تستغرق عملية إعادة الترميم أكثر من عام حتى يعود إلى سابق عهده، على أن تبلغ التكلفة الملايين من الدولارات. ويقول "أنا متمسك جداً بهذا المبنى، أشعر وكأنه منزلي".

في العام 1961، فتح متحف سرسق أبوابه للمرة الأولى نزولاً عند رغبة مالك المبنى نقولاً سرسق الذي أوصى بتحويل بيته إلى متحف بعد وفاته.



وجه بيروت شوهته المناكفات السياسية

بعدها شهد على تاريخ لبنان بأكمله منذ نشأته مع إعلان دولة لبنان الكبير مطلع سبتمبر 1920 حتى هذه اللحظة.

وإلى جانب لافتة كتب عليها "أهلاً وسهلاً في متحف سرسق"، رميت الواح معدنية ملقوبة فوق بعضها البعض بعدما أخرجت من المنزل.

يفقد المهندس جاك أبوخال القصر الذي أشرف على ترميمه قبل 20 عاماً. ويُطمئن أن أساسيات القصر ما زالت ثابتة، أما كل شيء آخر فقد تضرر، كالجدران التي استحدثت من أجل تعليق

عديدة كالمتحف الوطني ومتحف سرسق ومتحف الجامعة الأميركية في بيروت والمواقع الثقافية والدينية وصلات العرض".

وفي القصر الذي بنته عائلة سرسق الثامن عشر، وصمد بوجه حروب عدة مرت على لبنان، سقطت الواح زجاجية ملونة أرضاً، وتكسرت أجزاء من أبواب خُفرت عليها كتابات بالأحرف العربية، ولم تبق واجهة زجاجية على حالها.

وفي إحدى الزوايا، يتكدس ما تبقى من أرائك محطمة وطاولات لم يبق منها سوى قطع خشبية مبعثرة. تمسك وريثة القصر تانيا إنجا ما تبقى من لوحة مزققة تماماً تصور والد جدها، مرددة "ساحافظ عليها من أجل الذكرى".

وتقول إنجا (في الخمسينات من عمرها) "ما حصل أشبه بعملية اغتصاب"، مضيفة "بات هناك الآن شرخ بين الماضي والحاضر. فطعت أوصل الذكرة بالنسبة للمكان وللعائلة ولجزء لا يتجزأ من تاريخ بيروت".

أما المبنى المجاور، فهو قصر سرسق الشهير الذي بنته العائلة ذاتها في العام 1912، وحولته لاحقاً إلى متحف ومساحة عرض للفنانين اللبنانيين والأجانب. ويات القصر اليوم بروي قصة مدينة منكوبة